إشتياق

إيمان بلمداني

خواطر

دار قصص وحكايا للنشر الالكتروني2020

اشتياق

خواطر

إيمان بلمداني

العنوان: اشتياق

النوع الأدبي: خواطر

المؤلف: إيمان بلمداني

قوة السرد: كتابات إبداعية

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغُلاف: الكاتب بنفسه

سنة النشر: 2020

الحالة: حصريا

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار: 70

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2020

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

الفهرست

انكسار ٨
احتياج..... ١٠
هل تعلم من أنت !؟..... ١٢
يا ليتك تعلم ١٤
هل تعلمون ...؟ ١٧
حب زائف ٢١
خذلان..... ٢٣
لم يكن ضيفًا عابرًا! كان روحي..! ٢٦
الحاضر الغائب ٢٨
لماذا هو !؟..... ٣٠
لما كان علينا الفراق ...؟..... ٣٢
البدايات كذبة..... ٣٥
وداع..... ٣٧
ليالي ٤٠

ذكراه ٤٢
كنت ومازلت أحبك..... ٤٤
ياليت الليت يكون ٤٦
سلب الجميل مني وغادر ٤٨
تريد أن ترى القسوة ٥٠
عَلك تسأل عن سبب عدم عفوي عنكَ؟ ٥٢
وعود زائفة ٥٤
نبذة عن المؤلِّفة..... ٥٧

إهداء:

إلى سندي وبهجة قلبي إلى المرأة الكريمة والأم الحنونة..

إلى من يزرع البساتين النظرة في قلبي بلا كلل..

إلى أمي.

إلى ذلك الشخص الذي يؤكد لي دائما أن الاشياء الجميلة تشبهني

وأن الزمان لا يقف فرحا إلا معي.

إيمان بلمداني

متى ستسقط راء حربنا؛ ليلتقي حُبنا؟، ومتى ستُبدل ميم الجمر بباء؛ لتهدأ قلوبنا بعد العناء، ومتى ستُوضع الباء بدلًا من شين الشقاء؛ لتستقم حياتنا ويُكتب لها البقاء، متى ستُصبح الهاء دال؛ لنكُف عن هروبنا، ونُوَحِد دروبنا، جلبتْ لكِ الورد، وأُنتظر وردك دون راء، بدونك سينتهي الأمر بي إلى غيابات الجُب، ومعكِ ستُحذف غيابات وتُبدل الجيم حاء.

إيمان بلمداني

انكسار

منذ ذاك الوقت اللعين، نعم إنه الإنكسار الأول ، سئمت إنتظار أشياءً لا تأتي؛ فالحياة برمّته كذبة تعلقنا بأبوابها الدنيوية ومن ثم تزول و يتبقى لك الإحتياج الأعوج و الإشتياق المميت.

لقد أُهتكت روحي ضرراً بالفقد مئات المرات ، تتساقط مني أجزاء كلما مر عابراً بي ، فباللّه ما مر علينا أمر من تلك الأيام العصيبة .

إن العقل يأبي الإعتراف بالانهزام ، أما ما يُدعي بالقلب فإنه أصبح يشبه لوحة نشان للاعب محترف لم يخطئ مرة واحدة.

*صباح أمس الثلاثاء الساعة الثالثة تحديدًا من السنة السابعة عشر بعد الألفين.

كنت أشاهد أمطار ديسمبر الغزيرة من نافذة المقهي أثناء إحتسائي القهوة ، ظللت بخير حتي رأيتك ، إختلج قلبي من مكانه.

أطلت التحديق بك لم يكن يُهيئ لك، ولكن كان عقلي غائب الوعي ؛ يستعيد ذكرنا ، يستعيد تلك اللحظة التي تغير من بعدها كل شيء.

لست مثلك فَوْرُ ما فصلتني عنك ذهبت تعبث و تعبث حتى أفقدتني أعز صديقاتي .

لم يكن الأمر سهلًا كما تتوقع، لقد مررت بنوبات إكتئاب، لقد لجئت للإنتحار أيضًا ، لكن لا بأس أنا هنا الآن أرى كل ما كنت أملك يمر أمامي كعابر سبيل ولا تهتز

خصلاتي حتى

لم يكن إنكسار فقط بل كانت ندبة مؤلمة حد الموت.

بإمكاني رؤية صديقة عمري و حقيقتها السوداوية، تُسيء بي و بإسمي

و سمعتي، لعلها تسعد هكذا.

و بإمكاني أيضًا رؤية حبي الأول يذهب هباءً ، قائلًا إنه لم يحبني يومًا. الآن هما معًا

و أنا وحدي، وحدي تمامًا.

لقد جعلوا مني مختلًا بأعين الناس.

بأي شيءٍ أخطئت ؟!

بأي ذنب قُتلت برائتي؟!

يمكنك أن تراني إنسان بارد المشاعر، جاف الطباع، ولكن مالا تعلمه أن قلبي يعتصر

ألمًا ، وأن كل هذا الحزن و الجفاء نتج عن كثيرًا من الخذلان ، لاتدري إن كنت

رويت لك الحقيقة كاملةً أم لا؟!

أهذا هو ما يحزنني حقًا أم أنه نصف الحقيقة فقط؟!

دعني وشأني فحسب، فأنا لا أمتلك شيءٌ ؛ لأعطيه لك . ولا يوجد المزيد لقوله أو

شرحه ، رغم ان داخلي مزال يطالب بك

احتياج

عندما يحتدم النهار عليك تود لو أنك تمتلك مظلة لتحتمي بها، وسط تعثرات الطريق تتمنى أن تجد من ينتشلك من ضياعك ويأخد بك للطريق الصواب، وعندما يعلو أديد وضوضاء الحياة ستحتاج لمن يجفل بك إلى السكون.

دائمًا تحتاج إلى من يكون بجوارك، يساعدك في تعثراتك، يدرك تقلباتك، يكون مرصاد لك، يفهم سكونك قبل كلامك، يوبخك عندما تخطئ، ويساعدك في تنجب الأخطاء، يجاهد معك لتصل لمبتغاك، تنثر عليه إنجازتك التافهة دون الحرج منه، وتنتظر لتسمع مدحه الذى يجعلك تشعر وكأنك أعظم العظماء.

ولكن بوجودك وحيدًا هكذا فأنت تؤذي نفسك فقط، تحكي أشياء داخلك لابد من خروجها، تشعر دائمًا بأن هناك نقص ما بشخصيتك، ينقصك وجود من يحاول تنمية ثقتك بنفسك، من يمكنك الإعتراف أمامه بكل ما يمتلئ به صدرك وإنتظاره ليشاركك في صنع بعض الحلول لها.

تكشد على نفسك بأن تنال بعض الهدوء؛ لوجود من تتقاسم معه حزنها وفرحها، من يساعدها في إرتشاف أيامها المُرة، وجود شخصًا يزيل نضو حياتها ويحولها لحياة خصبة تتقبل الآتي لها.

شخصًا يساعدني على فهم شفرات عقلي، يصنع من ثقوب قلبي نوافذ تضيء عتمته، يتقبّل تلك التشوهات المتبقيّة من روحي، يصنع لِي ذكريات مُبهجة تطغَي على حزني، يأتي كضماد لما حل بي من جروح ، أكُون الأميرةُ المَفقودةُ وتكونَ لِي فلِينرايدَر، أو حتّى تَعثُر عَلَى أحَد مَفقودَاتِي فأكُون لَك سِندريلَا بِجمالِها وعطفِها وربُما حُبها أيضًا، أو حتّى يتِم اختِطافِي لِلقضَاء عليّ فتأتِي لِتنقِذني وتأخُذنِي عَلَى حِصانِك و نَذهبُ لِنحكُم مَملكَتنا الصغِيرة كَ سنُووايت، أو رُبمَا يَجب عَلينَا أن نَصنع قِصتنَا بأنفِسنا ولا نَستَوحِها مِن قِصصٍ خَياليةٍ، سأكُون واقِعيةً مَعك قليلًا، فِي الحقِيقة لا أُريدُك أن تأخُذنِي عَلى حِصانِك أفضّل ركوبِ سيارة "بِي إم دَبليو" فقَط لأشعُر بالراحَةِ، ولا أرِيدُ أن أسكُن فِي قصرِك لأحكُم مملكَتنا، فقَط أريدُ أن أسكُن إحدَى عِماراتِ الإسكندَرية المُطلّة علَى البحرِ مُباشرةً، هَذا وأنتَ تعلمْ أنِي لا أرِيد أن أُكثِر عليكَ، فلا تَكن ساذِجًا وعجِّل بالإتيَان..

هل تعلم من أنت !؟

في قانون الأحباء، المُحب يرى حبيبه قطعة من الجنة، يراهُ ويكتمل به كاكتمال البدر ليلة تمامه.

لِذا ياعزيزي أخبرك ومن كل قلبي، أنني أراك كل الكون، وكل الكون أنت

حينما أفتقدك ، أنظُر إلى السماء وأرى نَجمك الجميل يوحي لي بكل أملٍ وإشراق، يُحدثني بريقك عن اقتراب اللقاء، أنظُر إليك وأنت بقلبي أثر لكل نقاءٍ وبقاء.

أعلم أن كل الرسائل التي تحدثنا بها ، لم تعوض أبدًا نَظرة إلى وجهك الجميل ، أتخيل قليلًا كيف يكون لقائنا بعد هذا الفراق !

حسنًا فلأُخبرك ياعزيزي؛

سيطفو على وجهي كل علامات الخجل، وتَحمر وجنتاي ويتلعثم لساني وأقول لك بصوتٍ خافت مرحبا

حينها ستتعجب من تلك الفتاة التي لا تستطيع أن يتوقف حديثها المُزعج أبدًا، وتضحك حينها لتبادر بنفس القول «مرحبًا» ..

ولكن حروف تلك الكلمة تخبئ ورائها كل جميل ياعزيزي، هل تعلم كيف ؟!

فبدايتُها ميم، ويكون حينها قولي لك، مَر الزمان ومررتَ أنت محوت خريفي، فربيعي أنت ويعقبها راءٌ تختبئ خجلًا من جمال عينيك التي أراها فتخبرك، ريحُ يوسف قد بشرت، بريح البشائر قد هَللت!

ويعقبها حاءٌ أصل كل أساطير العشق والبقاء، فتكون بدايتها، حَييتُ بك، حَنيتُ لك، فلك كياني، يا حُبي أنت.

ثم الباء التي تشاكسك، وتتغزل بك خجلًا ياعزيزي، تختبئ وراء كل أسطورة حُب قد كُتب بقائها لأجلك وتخبرك :-

بك أكتفي، لك أنتمي، بك أرتوي ، بديعي وبداية ربيعي أنت!

ويعقبها تلك الألف التي تُبين لك مدى إستقامتها ولكن عندما تلتقي بعيونك يخير قواها وتقول لك

أميري أنت، أشتاق لك، أكتمل بك ، وبكل شوقٍ قلبي لك

فوراء كُل مُر حبًا أشتاقُ لك، ووراء كل مَرحَبًا أحبُك.

يا ليتك تعلم ...

لَيتَكَ تعلم مَا بِداخلي تجاهك ومُا أشعُر بِه نحوك، لَيتَكَ تعلم أنكَ الوحيد الذي اِستثناه قلبي عن الجميع وظل ينبض له والوحيد الذي جعل عقلي لا يُجيد التفكير في أي شخصٍ غيره، لَيتَكَ تعلم كيف تراك عيناي وحينها فقط ستعلم أنك لست وحيد و أنه يُوجد شخص يفكر بك طيلة اليوم و يفكر كيف يجعلك سعيدًا، لَيتني استطيع جعلك سعيدًا طيلة حياتك، لَيتَكَ تعلم أن ابتسامتك هذه عندما ترتسم على شفتاك تجعل عدد نبضات قلبي تزداد تدريجيًا حتى أشعر أن قلبي سوف يخترق جسدي لِيبوح لكَ بِما يحملهُ تجاهك منذ سنواتٍ وأنت لا تعلم، لَيتَكَ تعلم أن حُزنك هذا يجعل قلبي مُفتتًا من الحزن. حبك بمثابة أبجدية شُكلت؛ لتشعل فتيل الوفاء، وتمحو عتمة قلبي، وإن كان حبك حلم؛ فأنا يا سيدي أقبل ذاك الحلم الجميل.

بربك أخبرني..

من منا لا يستسلم للأحلام ويتمنى أن يعيش بحب يزول به مُر الحياة، من منا لا يتمنى أن يكون كفراشة تمتلك جناحين؛ لتحلق بهما في عالم الخيال، من منا لا يشعر بالحب إلا في القصص والروايات والأفلام ويخفق قلبه؛ ليسمع نبض حب بداخله لا يفقهه إلا من هواه، من منا لا يطلق عنان خياله إلى المحال؛ ليجعل في حياته فرح ولو حتى مجرد حلم.

يا عزيزي، نغلق أعيننا لنرى أشياءً نصنعها في مخيلتنا؛ لنعيش بها ونكمل بها رحلة الحياة القاسية.

نحن صنعنا من الخيال جمالًا، أذبنا الصلب وأثلجنا السائل، حلقنا حد السحاب.

لذا، دعني لأثمل من حدقات عينيك التي ترمقني وتجذبني لصراع مع روحي حد الممات.

يحيرني أن لعينيك صوت، ولملمس قلمك حين يكتب مذاق، ولكل كلمة تلفظها لون وعطر.

لقد سقطت أمام قلبك يا عزيزي ولا سلطة لي بذلك؛ فلينقذني الله أو فليمعن في سقوطي بك.

وفي النهاية: يسعدني تواجدك بين أضلعي

كُنت ذات يوم ...

بعد فراقٍ من الروح دام لعام تنهدت الآتي "قد كان كوني يكمُن في كونك هُنا والآن سيكمن في رحيلي إليك فيا موطني رحب برحابي" ثم أسدلت عيناها لترحل إليه فلم تكن الحياة بدونه ولن تكُن أو تكتمل" مُخلدين إثر حبهما في بواطن القلوب وإن غابوا فلذكراهم ذكرى توطدت فينا.

كنت فيما مضى تقول لأحبابك الخير عني تقول رمادا كان قلبك استصلح وانا اقطن به هُديت حبها فاهتديت، كنتُ من الجن فارتقيت، أصبحتُ في عشقِها متيماً ملاكاً، أهواها وأجتنب ما يبعدني عن فردوس قربِها، هكذا يَحول الحب فله من المعجزات آيةٌ فيهِ وله بها آيات، كان لي الألم فسحر وجودها الكلمات فبات الأمل في وجداني كيان،حولت ندوب الفؤاد لبنود تفاصيلِها، غيرت حشر انعزالي عن البشر لشرح الصدر بلقائها، كظل ملاكٍ وجد بين البشر، حالت الخلق المهترئة بصدري لخلائق من ورودٍ تنمو وزقازق طيورٍ تشدوا، وإن سُئِلتُ ما رجائي قبل وصولها لرجوت من حوَلت بداخلى قابيل لهابيل، قيل أن"الصدف حياة"، وأقول" بعض الصدف حياة والأخرى جحيم وتمحو لحظة حياة جحيمها"، فلقد وجدت حلو الحياة بعد علقمة حلقي بمُرها، خُلِقت من يسار أضلُعى وظنوها قطعة من أُمِها، فلقد التأمت جوارحي منذ ظهرت بكمالها، لي بها يسار صدري ولها بي ولاء الامتلاك لها، هي موطني وسنون عهدي هي شعب مملكتي وسُلطانُ عرشي، هي كما لم تكن المخلوقات فجميعُها بروحٍ وخُلِقت تملك روحي وروحها. هي فطنة تأنى الفؤاد لنيلها، ملاكي وجُل مُلكي هي.

بهذا الشكل كنت تخاطب الناس ومن يسأل عني اين وعودك اليوم واين هو حبك هذا

.

هل تعلمون ...؟

هم لا يعلمون الصراع داخلنا، فبينما يبحثُ معظمهم عن الحب نفرُ مُهرولين، من مُجرد نظرة أو دقة قلبٍ غير معهودة إلى ذلك الرُكن الأمن تلك البقعة من منزلنا إنها غُرفنا المظلمة التي نرى في عتمتها نوراً وضوء يحمي من شرور القاع هم لا يشعرون بحجم ألامنا وخوفنا من أن تُصيبنا تلك الشقوق التي تشقق الشِق الأيسر إلى أشلاءٍ مُدماه،هم ليسوا سحرة لِيُنجموا بما يختلج أفئدتنا من أمانيٍ نخشي الحُلم بها أو السعي لتحقيقها،هم لم يعوا بعد أنني كتِلك الشمعة التي إن آشعلت أضائت وآضيأت حتى تذوب في تلك التفاصيل ومن ثم تنطفئ بنفحة هواء أو من ثم يذهب الضوء الجاذب لها ،لا أطلب منهم شيء فقط لينتهوا عن تلقيبهم لي بصاحبة الفتور أو تلك التي لا ينبضُ خافقها أو الصلبة التي لا تُبالى فوربي إن هشاشة فؤادي التي تسبب فيها عشقي تصل لهشاشة تلك القشة التي قسمت ظهر البعير..

أتألم حين لا يستطيع أحد فهم ما يجول بخاطري رغم وضوح تعبيري وعدم مقدرتي على الإخفاء أو التلاعب بالأمور، رغم عفوية كلِماتي التي تستغربُها نفسي أحياناً، يَصِفونني بالغموض بينما شفافيتي تجعلهم قادرين على معرفة جل ما بداخلي، إن صمتُ قالوا كئيبة وإن شكوت للقبوني بالثرثارة وإن غفوت عن أنظارهم قالوا غامضة

تبحث عن الفضول لها، هم لا يعلمون لا يعلمونني رغم علمهم بجل أمورى الظاهر منها والباطن فشلتُ فهم أقرب البشر كيف اعلم ما يجول بهم وبخواطرهم حتى في سكون الصمت ولا يشعرون بي في ضجيج الكلمات الأمر أصعب مما يُمكن شرح وصفه فهم لا يعلمون بذالك الصراع الناشب ...!

هل تعلمون معني أن تحب أحد فيصيبك عشق كل ماهو قريبٌ منه؟ أن تتمحور حياتك حول التفاصيل بعد أن كان لقبك اللآمُبالي المتبلد للمشاعر!

تأخذك اللحظات للجنون، الشغف، لتكتشف أنك تحب!

وأن أعراض عدواك حد هيمنة العشق!

ترتشف القهوة بتمعن، تمسك القلم لتخط أول مراسيل هُيامك، تُسكب الأحرف من القلب لتُغرق القارئ بعبق ماتشعر

عزيزي يا أول واطئ للفؤاد، سلامٌ لك منه وبعد:

لم أكن أنوي أن أسقط في تلك الدوامة، بل كنت شديدة الحرص للابتعاد عنها، وجدتها تنتشل كل من حولي يافعي الشباب فتُعيدهم وقد تمكنت الكهولة من أرواحهم، اقتصت منهم البهجة و منحتهم العبوس،جعلتهم من مُقبلي للحياة بكل اندفاع بالطاقة والأحلام وأملٍ في الغد، لأشخاص كل ما يشغل فكرهم أن يمضي اليوم دون أدني تفاصيل تذكرهم بما مروا به، أن ينقضي الليل دون ألم دون تلك العبرات البركانية، يبيت الفرد منهم كل ليلة على أنه سيصبح بخير، فيصبح مهشم القلب،

مُهمش الوجود، متورم العينين، يمكنك قول أنني تلك التي ترى الأحداث خلف الكواليس، من باتت ترى السيناريو كاملاً ما أن يبدأ المشهد الأول بالتصوير ، تبكي وتضحك إثر مرور الأحداث بعقلها، تدور الأحداث حول قصص قد مرت بأبطالها من قبل،فإن أبدع المؤلف اقتُطف بعض الحلقات لتكون مختلفة عما مر،ولكن ما إن تتصل الحلقات يصل لنفس المصير المحتوم المجهول، فما ذُكر الحب أمامي إلا واعتصر قلبي ألماً لِما رآهُ من قصص واقعية باتت في مُذكرته ولم تكتمل أصيبت بالعجز، والبعض منها قد انتهى وماتت أحداثه ودامت ذكراه ولم ترحل برحيل وافتراق الأبطال، منهم من تعمق فغرق ولم ينجو منذ ذلك الحين ومنهم من تعمق فأسعفته قدرته على الرجوع متهالك القوى ليتعافى ويبدأ من جديد ومنهم من يطفو من تحته ماء وفوقه سماء ولا يوجد بر من حوله،تشابهت النهايات باختلاف البدايات والألم في الموضع ذاته .

لا أريد أن أصل لأيٍ من تلك النهايات ولا أُريد سيناريو مليء بالأحداث أو مؤلف مبدع في خلق شيء جديد،فقط أريد السلام،الطمأنينة،الاستقرار والثقة.

أريدك عوناً لي لا علي،أريد ما أن نزداد عقوداً نروي لأحفادنا نفس القصة، لا مفترق طرق نتلاشى ذكره،لا أريد أن يتألم أحد لألمي كما تألمت لمن مروا به، لا أريد لخاء الخذلان أن تدلف لقاموس علاقتنا،أريد وطناً ومسكناً فلقد ولدت غريبة تائه بين القلوب والنوايا هل لي ما أطلب!

إن وجدت إجابتك ب "نعم" فهلم واقتص الفؤاد وأوشم أحرفك عليه ليدوم لك.

وإن كانت اجابتك ب "لا" فدعني أرحل في صمت فلم أصل لذروة دوامته بعد.

وتيقن أني لست للعبث؛ وأجابتك ستحسم نهاية القصة.

إنتهت القهوة وكذلك المرسال.

ها أنا أهم لإرساله وفي تلك اللحظة تذكرت أن الحب مغامرة فهل للمغامرة أن تُحسم نهايتها ب نعمٍ أو لا!

قررت الصمت والاحتفاظ به حين إشعار أخر فَفي الصمت لغة لا يعلمها إلا القليل فعلهُ منهم!

والآن احاسب نفسي لأني لم أرسل ذلك المرسال .

حب زائف

نحن لا نرفض الحب كمضمون أو فكرة، نحن نتجنبه خشية الوقوع بِالأشخاص الخاطئين نخشى ذاك الشعور الذي لا يهنىء نوم أصدقائنا بسببه نحن نختبئ خوفاً من أن نُغرم بأحد المارة فيُكمل الطريق دون مُبالاة بقلوبنا الراحلة إثر مروره.

الحب ليس على نفس المضمون هذه الأيام فلقد تم بواسطة جيلنا العظيم اختراع جديد لم يكن منتشراً بالأجيال السابقة ومكوناته هي" الإنحلال، إنعدام الأخلاق والضمير، التلاقي، الخيانة، الكذب، النفاق، التزيف، التسلية، التلاعب بالقلوب الهدايا والماديات، المُزاح، ملىء أوقات الفراغ، هشاشة العلاقات، الرقص علي الأوتار، التمني، الإعجاب بالشكل وإهمال الجوهر، الكر والفر،الفراق، الذكرى، الألم،الحزن، الذبول، وبعض من سم الموت المُطباطئ والموسيقى والأغاني..

وقد تم الإطلاق عليه مُسمي "الحب" بل وقد تطور أسمه إلى "العشق" عند البعض، وينتهي بتلك الجمل المماثلة التي أصبحت معهودة في نهايات معظم العلاقات" نحن لم يسطرالقدر إكمال علاقتنا، لسنا مُناسبين لنستمر، أخطأنا منذ البداية بالأستمرار، تستحقين من هو أفضل ،..... "

لا أدري إلى أي حد عقولهم مُغيبة ليكتشفوا تلك النهايات بعد مرور كل هذه الأوقات

أو ربما هم على دراية بكل المُجريات، ولكن حقاً ينامون هانئين بعد أن يتسببوا في إتلاف تلك القلوب والتي وبشكلٍ مُفرط معظمها نقى!

سُحقاً لهم عليهمُ اللعنة إلى يوم الدين لقد تسببوا في تشويه أسمى شيء أوجده الله بالكون والذي إجتمع عليه جميعُ الخلق، حولوه من أمانٍ إلى زُعر، جعلوا من يُفكر بخوضه رحلته يُكذبُ به تركوا مكاناً لتزيفه، ولكن كل ما يجول بخاطري الأن ماهو ربحهم من هذا.!

لقد أوجد الله شرعهُ للسير على نهجه لا إخلافه، أتسأل عن نهاية كل شخص تسبب في إذاء قلب أتساءل عما سيشعُر به حينما تدور دائرة الأيام عليه لتضعه في نفس الموقف ولكن هذة المرة مجنيٍ عليه لا الجاني..

خذلان

هوَنا فهونا، تمسكنا فتُركنا، محونا فمحينا جبرنا فتجبروا علينا، ربتنا فرُبطت قلوبنا بجمرات الخُذلان، ساندنا فمال الدهر علينا وانحنت الظهور، ساعدنا فبُذلت سعادتنا لأجلهم فهجروا حاملينها معهم، ولم يرأفوا ، وكأن الجحود قد تجسد بهم، تحولوا من الملائكة ذات الأجنحة المفقودة إلى ذا القرنين، أبليس في ابهى صور تحوله اصبحت اخاف من العلاقات اتهرب منها قدر المستطاع من كثرة الخيبات.

الأمر هذا ليس بهين، شعور يُرهقني، تفكيرٌ يُزهقُني، أنه وكلما وجدت شخصاً أقترب منه يوماً تلو الآخر أجدني تُحتبس أنفاسي وأبتعد كغريبٍ لم يسبق له الإقتراب، واقسم أنني أنتفض.

حيث انك ما إن تجد وطناً تعتمِره وتُعمره ثم تقرر الوقوف على أشواك سياج حدوده دون الرحيل أو الدخول، تتألم دون البوح، تريد معجزة أو برهان على الترحيب بوجودك، أن يتمسك الوطن بمستوطنه حتي يشعر بالإنتماء، أن يعترف أحدهم بأحقية وجودك على متن سفينته، أن يجعلك رُباناً لا غِنى عنك، أن يتمسك بك كأخر قشةِ نجاة، تكره التهميش، تريد التمركز، الاحتواء، الاطمئنان، الانتماء والأمان، كل ما تُريده أن تُعامل كل لحظة بِإهتمام كما الوهلةِ الأولى، لا أن تكون كلغز وجب حله

والرحيل، أن تُعامل برفق كطفل، تُحدث كعاقل،تُحب كأخر من على الأرض.

لم يكن الاهتمام يوماً منبع العقل، ولم يكن لإنتظار مقابل، بل ينبتُ حُب الإهتمام، ليس واجباً إجبارياً، بل فطرة القلب ما أن يعشق، يتحول الواجب لفطرة وعادة غير روتينية، متجددة لا تملل وإن دامت عقود هكذا القلب، تُريد أن يقسم أحد بالوفاء لك ماحييت وحيا، لا تغنيك الحشود من حولك، تكره الازدحام بلا تقدير أو معنى، هكذا انت، يكفيك فرد يملئ فراغ الأفراد، لكن تصعق عندما يقابلونكبالخذلان.

مؤلم حين يشبعنا حد الألم، حد الإِنتهاء من كل شيءٍ، لا نحتاج إلا أنا نسمع له، نسمع صوت ذاك الذي سبّب حقنة الألم بداخلنا، صوته لا يزال يدوي؛ لأنه من الصعب عليك النسيان.

الخذلان يتمثل في من وهبتهم قلبك، وروحك؛ غدروا بك، وخانوك، أعطيتهم ثقة زائدة؛ ولم يفوا بهذه الثقة، فلم يخذلك أحد، بل أنت من خذلت نفسك حين راهنت على أنهم أوفياء، والآن أنت تقف بين النيران التي أشعلتها بنفسك، وتريد أن يأتي أحدهم لينتشلك منها؛ ولكن لا جدوى الجميع تخلى عنك، وهجرك، وخذلك الذي ظننت بأن الحياة معهم ستكون أفضل، اصطفوا خلفك ليتقاسموا ظهرك بطعن خناجرهم المسمومة فيه، أنت من جئت بنفسك إلى هذا الحال، كانت كلماتهم البذيئة، وسخريتهم منك كفيلة أن تجعل قلبك مدثرًا بالحزن، لم تعد تلك المضغة الكامنة يسار صدرك قادرة على الصمود، وتحمّل ما بدر منهم أكثر من ذلك، والآن

أصبح القلب مبعثرًا كالحبيبات الصغيرة، كيف له أن يكون على ما يرام، وبداخله خذلان يكاد أن يفتكه، يبدو من الخارج بالامبالاة، ولكن من الداخل ضجيج لا يهدأ كأنه بركان ثار، الخذلان مؤلم حين تشعر بعدة مشاعر داخلية تعصف بك مثل: خيبة الأمل، لم يعد القلب كما كان سابقًا.

لم يكن ضيفًا عابرًا! كان روحي..!

يسري في دمي حبُّه، أراه في كل الوجوه وأسمعه في كل الأصوات، أحس به يهون عليّ إن مس الحزن قلبي أو أصاب منه، أشعر بتربيتة كفه على ظهري ومسحته اللطيفة على شعري، أبوح له بخوفي وقلقي فيمد ذراعيه لاستقبالي، يكون أول ما يتلقطني عند السقوط، يداه دائمًا هناك؛ تنتظرني!

لو خُيِّرْتُ بينه وبين كنوز الدنيا لاخترته كنوزًا للدنيا! غنائي واستغنائي عن العالمين.

في كل مرة أحدث نفسي «لن أعود» أراه يبتسم لي؛ فتتهشم كل قراراتي وتصير هباءً تذروه الرياح!

هو المتنفس في هذه الحياة!

متنفسي الوحيد من ضغط العالم وضيقه، عندما أخبرني مرةً عن انشغاله بالتفكير بي والقلق عليّ سعدت كثيرًا! لكنني أخفيت وتعاليت! علقت عليه: «هكذا الأصدقاء، ممتنة» فابتسم لي وأماء برأسه موافقًا ورحل! ولم يعُد من حينها!

غبي! هل الحب المفضوح بالعينين يحتاج اللسان لإثباته!؟ وهل كذب نزار حين قال ﴿كلماتنا في الحبِّ تقتُلُ حُبَّنا؛ إن الحروفَ تموتُ حين تُقالُ﴾ ؟

إن كان الحبيب يفهم حبيبه فهو لم يحب! وإلا لكان ابتسم لي وأماء برأسه موافقًا ثم أخذني بين أحضانه!

لكنه لم يكن ضيفًا عابرًا أبدًا! كان رُوحي.

الحاضر الغائب

إليكَ أيها الحاضر الغائب دائما عن القلب والبال، إليك يا من لم تسمح لي بالغرق يوما في وجودك الذي كان شِبهَ دائم، إليكَ يا من لم التفت لوجوده في حياتي قط أبداً، إليكَ وإلى كُلِّ حاضرٍ عز عليه تركُنا رغم علمه بما يخفي القلب تجاه غيره، إليكم أصحابَ القلوبِ الرقيقة والأحلام البعيدة، إليكم يا من نحن شذى أعمارهم وشذى أعمارنا أشخاصٌ غيرهم إليكم وإلى كلِّ من تحمل الكثير للبقاء بالقرب منا حتي ولو تحت مسمي "عابري السُّبُل " :

فلتبقوا بالقرب منا قليلاً بَعد، فنحن مجرد أشخاص مشوشين لا نعلم من هو الأقرب إلينا، نتعلق بمن يتجاهلنا دائماً ونسير خلف من يُحطم قلوبنا إلي أشلاء غير ابهين بمن يجمع شتات تلك الأشلاء في كل مرة.

ابقوا قليلاً بعد علّنا ندرك أنَّنا على خطأ في وقت أبكر قليلاً و لو لمرة واحدة، لا تسأموا منا فأنتم بحالنا أعلم من المقربين والأحباب بل والأهل أيضاً، فلتجعلوا عزاءكم فينا أفكارنا المشوشة، حياتنا التي أمست أشبه بالمتاهة، أحلامنا الوردية التي لم تعد تناسب واقعنا، لا أقول ذلك تبريراً لموقفي أنا والمشوشين من أمثالي فنحن على رأس

قائمة المذنبين ولكني أؤمن أننا كبشر لابُد وأن نستيقظ يوماً من تلك الغفلة ونفتح أعيننا جيداً و حينئذٍ لن نرى سواكم أمامنا.

حينئذٍ ستكشف بعض الحقائق أو ربما كلها، حينئذٍ قد نبكي أسفاً أو نموت قهراً، حينئذٍ قد نخسر أنفسنا، لذا حينئذٍ يجب أن تكونوا هنا كما كنتم طيلة الوقت فليس من العدل أن نخسر الجميع ونخسركم أنتم أيضاً فلا أحد يستحق أن يحدث معه هذا حتى وإن كان أشرَّ من على وجه الأرض، الجميع يستحق فرصة أخرى،

و لا بأس لمن أعطونا يوماً فرصتين.

لماذا هو !؟

لقد عاد، بعدما قررتُ نزعَ قلبي لأتركَ مساحةً أكبر للمعدةِ كي تهضمَ آثار اكتئابي عاد، لِيزْكُلَ المعدةَ والقلبَ وكلَّ الأعضاءِ المجاورة

{ فأنا لا أحتاجُ في حبهِ قلبًا فجوارحي في هواهُ مَلْأي}.

عادَ لِيَهبَنِي حبًا يفيض منْ قلبي ومَنْ عينيّ، عاد ليُخبرني أني ما كنتُ يومًا سعيدةً قبلهُ ولا نامتْ عيني عن جمالٍ كالذي في عيونهِ ولا سمعتْ أُذُنايَّ لحنًا كذاكَ الذي بين همساتِهِ لي، عادَ لِيُحيي فيَّ ذكرياتٍ حاولتُ لِسنين دفنها رغمَ أنها كانت تأبي إلا أنْ تظهرَ علي وجهي حينَ يمُرُّ اسمهُ بمسمعي.. ما كنتُ أعلمُ أنك فيَّ بهذا القدرِ حتى التقتْ أعيننا في أولِ مرةٍ بعد عذابٍ دام سنتين، ما كنتُ أعلمُ أني ممتلأةٌ بك هكذا ولا سبيل لحبِّ شيء آخر ها هنا سواك ولذا؛ كان تزيينكَ لإصبعي بنبضاتِ قلبكَ هو أجملُ ما فعلت يومًا..

عسى أنْ تزينَ الأيسرَ أيضًا قريبًا قبل أنْ نَصِلَ مشارِفَ الخامسِ والسبعينَ من العمرِ

اخترتك انت لتزينه و للناس التي سألت

لماذا هو؟

لا أعرف رُبما لأنه وحده من جعلني أدرك قيمة الحُب وأنه كيان أو شعور يبدأ بالعين

ثم ينزل إلي صميم القلب وإن نزل إلى القلب لا يستطيع إخراجه إلا الموت.

رُبما أحببته لأن كل من يراه يُسرق قلبه، و كل من يرى ضحكته يقع في غرامه، حتى طلته فيها شيئًا من العظمة

ولأن الأزهار تتراقص كلما مر بجانبها.

أحببته كحب ورق الشجر للندى لا أراه إلا في الصباح فاشتقت للصباح من أجله.

فكل من يراه يقول: سبحان من سوَّاه.

لما كان علينا الفراق ...؟

أيامٍ مُتتاليةً انقَطع حَديثُنا فِيها..

وحَيدةٌ بِالفعلِ، لمْ اتحَدث فيِهم إلَى أحدٍ قَط، أسهَر اللَيل كَما لمْ أكن أفعَلُ، اتحدَثُ مع نفسِي كَثيرًا، تمضِي الثّلاثةُ أيامُ، لأجِد بعدَ انقِضائِهم ما يقرُب مِن الألفِ رسالةً والكَثيرُ مِن المراسِيل كتبتها أقولُ لك فيهَا: إن تخَلى الجَميعُ فأنَا أتمَسك، وإن مَضى الجَميعُ فأنَا أبقَى، وإن زالَ الجَميعُ فأنا أحِبُك..

متى ستسقط راء حربنا؛ ليلتقي حُبنا؟، ومتى ستُبدل ميم الجمر بباء؛ لتهدأ قلوبنا بعد العناء، ومتى ستُوضع الباء بدلًا من شين الشقاء؛ لتستقم حياتنا ويُكتب لها البقاء، متى ستُصبح الهاء دال؛ لنكُف عن هروبنا، ونُوَحِد دروبنا، جلبتْ لكِ الورد، وأُنتظر وردك دون راء، بدونك سينتهي الأمر بي إلى غيابات الجُب، ومعكِ ستُحذف غيابات وتُبدل الجيم حاء.

لمَا كَان عَلينَا الفِراق؟ لِما تَحتّم علَينَا التّخلِي؟

أتذكر ليلة من ليالي شجارنا

لَيلَةٌ قَارِسة مِن لَيالِي دِيسمبِر التِي أحِبُها، سألتَنِي يومًا عن سَببِ حُبِي لدِيسمبِر أخبرتُك لَيلتَها أنَنِي أستَمتِع بِكل لِيلةٍ فِيه، تمُر عَلى ذَاكِرتِي الذِكرياتُ مِن ينَايرِ إلَى ديسمبِر

العَزيز، حُلوهَا ومُرها لكِن أينَ أنتَ الآن؟

لازَال حُبّي لدِيسمبرِ هنا لطَالمَا شَعرتُ بأنّه يحِبنّي أيضًا، فَماذَا عنكَ أيُها الساذِج؟ إن الخَطأ الوَحيدَ الذِي ارتَكبتُه فِي حَياتِي هو أنّني قَد وَقعتُ بِك أو أنّك قَد أوقعتَنِي بكَ لا يُهمْ المُهم أنَنِي أحبَبتكْ، ولعَلك تَقرأ فَلا تظُن أنِي لازلتُ واقِعةٌ بك،أرَى أنّه قدُ ضعُف نظُرك قَليلًا أيُها الأحمَق من فضلِك رَكِز عَلى الفعلِ الماضِي.

–أشتَاقُ إلَيهَا تِلك البلهَاء، يكَادُ ديسمبِرها العَزيزُ ينتهَى ولمْ التقِ بِها بعد، أنَا حتمًا لا أتَذكَرها أنا لا أنسَاها كَي أتذكرُها تلك الحَمقاءُ، مَاذا أفعَل الآن؟

كيف التَقي بِهَا؟ عَليّ أن أعِيد كُل ذِكرياتِنا والمراسيلُ التِي كُتبت لهَا وهَذا الشِّعرُ الذِي قرأتّه يومًا وهِي بِبَالي، وكلُ وردَة زُرعت لهَا أنا لا أشتَري لهَا الورودَ أنا ازرَعها كَي أريهَا أنَني معَ كُل نُقطة مِياه أسقِي بها الورودُ، كَان حُبّي لهَا يُزهِر، غَدًا اذهَبُ إلَيها هي حتمًا حمقَاء لا تَعتنِي بصحتِها وتذهُب إلى البحَر لتتحَدث معهُ فِي هذا الطقسِ القارسِ، تَخافُ منَ البحرِ وتحِب الإلتِقاء بِه لا أعلَم إن كَانت متوَحدة أم مَاذا؟

– هَل رأَى الحُب سكارى. سكارى مِثلُنَا؟

_تنعتِينى بالسُكرِ يَا بلهَاء

– ماذَا أتَى بكَ إلىَ هُنا أيهَا الساذِج؟

_ديسمبر...

– ماذا؟

_أقصُد مَن تُحبُ ديسمبِر.

– وماذَا تُريدُ منهَا؟

_ ماذَا سأرِيدُ مِن حمقَاء مِثلها تظُن أنَنِي نسيتُها وهِي لمْ تَغيبُ عن عقلِي أبدًا.

– عقلُك فقَط يَا أبله؟

_أتعلمين هَذه المَرة الأولَى التِي يتَفقُ فِيها عقلِي وقلبِي عَلَى شيئٍ أنَا هنَا لأعِيدُك إلَى ذكرَياتِنا، لِيجمعُنا ديسمبِر ويشهَد علينَا فِي كلِ يوم مِن كل عامٍ أنّه قد التمَ شملُنا.

– عِدنِي يَا أحمَق أن تَبقَى.

_ وماذا عنِ الفِعل الماضِي في المِرسالِ؟

– نُعيدُه حاضِرًا لِيدل عَلَى التَجددْ والاستمرار واستِحضارِ الصورَة.

_حَمقاء لَكن اشتَقتُ لَكِ.

– ساذِج لَكن أحبكْ.

ام اليوم ياعزيز القلب اين هي وعودك تلك.

البدايات كذبة

في بداية الأمر يتزالف الطرفان وتجمعهم علاقة ما يحاولون استخدام إختلافاتهم وتشابهاتهم في صنع علاقة متجانسة، كلًا منهم يحاول إظهار حبه ومشاعره دون التفكير في الكم الذي يعطيه، كل ما يشغله هو أن يغمر طرفه الآخر في كلماته المعسولة وأفعاله الطيبة، ليكسبه لجانبه.

وكالمتعارف عليه دائمًا ما تكون البدايات جميلة، يكمن اللُطف بها، ومهما مر الزمن على العلاقة ستسترجع ذكريات البداية اللطيفة وتحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه منها، دائمًا ما تكون مليئة بأحداث تود لو أنها تظل ثابتة ولا تتغير بمرور الوقت.

ولكن هناك شيء بسيط، هل خطر في بالك مرة لمَ تكون البدايات أفضل دائمًا؟ لمَ لا تظل العلاقة في ود وتفاهم كالسابق منها؟

ببساطة لأنها البداية، فقط كل ما تعرفه عن الطرف الآخر لعلاقتك مجرد قشور من شخصيته، يظهر لك ما يجب إظهاره فقط، يحاول أن يبين نفسه في أبهى صورة، يلفت إنتباهك بلُطفه الشديد، وانه استثناك في حياته أن تظن نفسكَ أولويًا عند شخصٍ ما لا تعلم عنه شيء سوى ما يريدك معرفته؛ سذاجة، يا أبله قم بإيقاف قلبك، وشغل عقلك لثوانٍ ستعلم أنك لم تكن أولويًا ولن تكون، لا تثق، لا تتعلق، لا تحب

بطفولة، لا تقف عن الحديث عندما يقوم صديقك المفضل بتوبيخك، وبخه كما يوبخك؛ فأنتَ لا تعني له يا أحمق، ومن الحماقة أن تظن أنك لن تُترك ولو بعد حين، ومن الحماقة أن تعلق ذاتك بأشخاصٍ راحلين عاجلًا غير آجل، وأيضًا من الحماقة أن تصدق كلمة أحبك من صديق عزيز عليكَ، لا أحد يحبك، ولا أحد سيحبك، فقط أنتَ تعيش في وهمٍ، من صنع خيالك ليس إلا، "لم تكن أولويًا عنده" اكتب هذه الكلمات في ورقةٍ وعلقها على الحائط أمامك، وتذكرها دائمًا، عِش لنفسك ومن أجل سعادتك، لا تحاول مع أحد، كن على علم تام، أنك حينما تمتد يداك لشخصٍ ما لتلتقطه من الهلاك، سيهلكك، لن يضع لكَ الأعذار مثلما تفعل، لن يكون مثلكَ؛ فلا أحد يحمل جمال ونقاء قلبك، اجتمع الجميع على خطأك؟ لا تستمع، اهرب منهم. انفذ بما تبقى منك، لا تكن حطامًا يشعلوا عليه نار حزنهم، اضرب واشتم واهجم واقصف وتنمر عليهم، هل رأيت مرةً التنمر على الحيوان وقول أنه حيوان حرامًا؟ لا، فقم بأخذ حقك في فور حدوث شيء يزعجك، لن تعيش أكثر مما عشت وكلنا فانيون؛ فلا تحزن.

فقط كن منصتًا لعقلك لن يخذلك أبدًا.

وداع

مرت أعوام عديدة على ترككِ إياي وما زلتُ في كل لحظة أتذكرك تدمع عيناي شوقًا لكِ،أصبحتُ في حالة يُرثى لها، الوجوه المشفقة تحاوطني من الجهات الأربع، لم أستطع التحرر من ذاك الحزن المتقوقع بداخلي تَرك بي بعض الندبات والجروح بصميم القلب، ذهب ولم يترك معادًا للعودة، فكان هذا كفيلٌ أن يجعل قلبي يتوقف، تَرك بي ما لا استطيع معالجته عند الأطباء، فلم يكن هناك طبيب في أنحاء البلاد أجمع يداوي صميم القلب لأنه سليمٌ من الخارج ومهدد بالتوقف في أي لحظةٍ من الداخل.

إليه: قُلت لكَ قبل هذا أنني أعلم أثر الفراق على قلب المُحب، وصفته لكَ أليس كذلك؟ انسَ كُل ما قُلت وما وصفتُ، فوالله ما أشعر به الآن لا يحمل ذرةً من وصفي له، لا أعلم كيف أصف شعورًا عجز الجميع عن وصفه! أأنا من ستصفه الآن؟ كيف للقلب أن يخرج من بين أضلعك ويبقى أمام عينيك تراه ينبض بالآسى والحُزن ولكنه هو مازال بداخلك؟ الأمر أشبه بمرأةٍ يوم عُرسها هجرها زوجها بعد عقد القران وكتب لها في ورقة: "آسف كان يجب عليّ الرحيل" دون سابق إنذارٍ أو دون ترك أسباب،

تركها وباتت لا تعلم ماذا ستفعل، مُحطمة القلب وتكاد من فرط البُكاء تجن، مثلك تمامًا، رحلت دون ترك رسالةٍ حتى.

أتراني وأنا عاجزة عن وصف ما أنا به؟ الآن فقط علمت كيف كُنتَ عندما رحلت أنا للمرة الأولى، عُدّ إليّ وأقسم لكَ أني لن أهجرك مرةً أخرى، عُدّ وأكتب لي ما تريد وسأقرأ ولن أتذمر وأقول لكَ أني لا أحب الشعر الجاهلي، وسأتغزل بكَ منه أيضًا، سأفعل كُل ما تريد وكُل ما يحلو لكَ، ولكن عُدّ.

إلى مُذكراته التي تركها لي: كان يحكي لكِ عني أليس كذلك؟ أخبريني ماذا قال لكِ، هل قال أني جميلة؟ أم أني صغيرته المُدللة مع ترك رُباعية لقيس وليلى بآخر الكلام، كان يحبهم أليس كذلك؟ أعلم هذا ولكن أنا لم أكن أحبهم، كُنت اقرأ وأنا مُبتسمة الثغر وقلبي يرقص فرحًا أن هناك من يُحبني هكذا، في كُل ورقةٍ أطويها بعد الإنتهاء من قراءتها تذرف دموعي لتغطي عُنقي، عيناي في هذه اللحظة مُنطفئة، أما كان لا يحبها أن تنطفيء؟ يداي ترتجف وأقدامي لا تتزن، فأين هو من بين كُل هذا؟ أين هو الآن من حزني؟ سأغلقك اليوم ولكن تذكري أنتِ من تبقى لي منه، فأنتِ من اليوم صديقتي المُقربة.

إلى صديقه الوحيد: عندما طرَقت إليك في الغسق كُنت أرجو أن يكون عندكَ لأراه للمرة الأخيرة، لم يتسلل إلى مُخيلتي أنه رحل إلى الأبد ولن يعود، أتعلم يا هذا؟ لم أكن أحبك في يومٍ من الأيام، فقد كُنت تراه أكثر مني وتتحدث معه أكثر مني وتكاد

تكون تبيت مَعه في منزله يوميًا، كانت الغيرة تشعل في قلبي النيران ولا تهدأ، كان السمور يبيت معي في كُل ليلةٍ حتى الجهيم، أفكر هل هو معه الآن؟ يراه ويبتسم له، وكأنك زوجته الثانية وليس صديقه–وهنا ابتسمت أنا وهو–ولكن الآن ستجدني عندك بين الحين والآخر لتقص عليَّ ما كنتم تفعلونه، لتخلد ذكراه في هذا الذي بالأعلى ولا يريد الوقوف عن التفكير، وداعًا يا صديق من كان يملك سرد المدامع وفؤادي.

ليالي

أمسيت في أول ليلاتي المُظلمة بدونك، وحدي تمامًا، مجردة من الشعور بالحب تجاهك، كُنت أحبك ولا جدال في ذلك، ولكن أضحيت لا أشعر تجاهك بأي شيء. الليلة حالكة الظلام، تنتظرني عيناي لكي أعطي لها إشارة ببدء هبوط الدموع، سأنفجر من الحُزن وحدي، عودتني أن تكون بجانبي في وقتٍ كهذا، فأين أنت الآن من حزني؟

الليلة الثانية:

أصبحت بنصف قلبٍ وبعقلٍ مُكتمل، كاملًا في البُنيان ناقصًا في بُنيان القلب، قابلت وسادتي بعد يومٍ دونه أو بالأحرى بعد يومٍ دون نوم و راحة هجرني؟ هجرني من قلت أمام الجميع أنه مهما حدث لن يهجرني أسعيدة الآن! علك استمعت إليَّ قبل رحيلك للأبد، ولكن لا يهم.

الليلة الثالثة:

قابلتُ فتى يشبهك في بعض الصفات؛ فهجرته.

الليلة الرابعة:

أحببت غيركِ لو تعلم، لم تعود مهم بالنسبة إليَّ من الآن، وكما تعلم أنا لا أحب الكذب ولكن أكذب.

الليلة الآخيرة:

كَتبت لك خمسُ لياليٍ من الحزن هنا هلا قرأتها؟ لم تفهمي!

إذًا اقرأ من هنا.

حين هجرتني عمدًا تركت بي ندباتٍ لم أستطع معالجتها، كنت لا أقدر على الحديث وأتصنع أني بخير، كل من يسألني هل أنتِ بخير؟ أقول بصدرٍ رحب: نعم أنا بخير. الليلة الأولى والثانية لم أقدر على استيعاب أنكِ لم تعد هنا، فما كان بيننا ليس قابلٍ للهدم، ليس بهذه السهولة، لم أنم في الليلتين الأولى والثانية، ففي الليلة الثالثة قُمت باحتضان السرير حتى اليوم الرابع وفي بدايته قابلت من هو مثلك، فهجرته قبل أن يهجرني هو مثلك، والآن وفي اليوم الخامس أقدر أن أقول أنني نجحت في تخطيك وتذكر الجيد فقط من علاقتنا وتذكرك بالخير، لم يكن الأمر سهلًا ولكن عزمت أن أتخطاك في نفس الفترة التي أخذتها لأن تقول لي أنك ما عدت قادر على الإكمال في هذه العلاقة.

ذكراه

سَجى فؤادي عند مرور ذكراه من أمام عينيّ، الموج يتلاطم داخل البحر والهدوء يحتل المكان كهدوء ما قبل العاصفة، أمامي مباشرةً أوراقٌ كثيرة قمت بالتقاطها وكتبت عليها: اسقيتني البعد بكأسٍ من خيبات الأمل، بعدما كُنت أبكي من الرياف إليك، أصبحت أكره التفكير بكَ.

الأزهار أمامي ذابلةٌ، ولكني مازلت محتفظةً بها؛ فبداخلها رائحته عندما أهداني إياها بعد احتضانه وتشبثه بها، وبكى ثُم رحل، وحَل الجهيم وأنا أجلس أمام البحر استنشق الهواء النقي وأضع قدمًا فوق قدم، وأدندن مع الموسيقى التي قمت بتشغيلها، نهضت من مكاني عندما أتى من وراء ظهري شخصٌ يدعوني للرقص أمام تلك الموجات المتراطمة، فقمت بالموافقة؛ لا أعلم ما السبب ولكنني كنت حزينة فلا بأس من بعض الرقص، بدأت بالرقص ورحل الشخص ومازلت أرقص.

أتى اليوم الثاني وأنا لم أَمِل من الرقص، اليوم الثاني لي هنا، قررت أن أرسل له رسالةً مع ساعي البريد الذي يمر من هنا كل ليلةٍ فالتقطت الأوراق وبدأت بخط أول كلمةٍ له: أنا مريضة حُبك هل تتذكرني؟ هل أخطر على بالك وأجول بخاطرك!

تحيةٌ طيبةٌ لكَ على الأذى الذي تركته بي ولي، لست حزينة مما سببته لي من أذى لأنك في كلِ مرةٍ تتسبب بجرحٍ في قلبي أتعلم بعدها درسًا لا يُنسى، فلكَ مني كُل الشكر والتقدير لكونك كنتَ معلمًا جيدًا في التعليم السيء، بعد التحية أيضًا أنت لا تجول في خاطري بين الحين والآخر أبدًا، ولا أتمنى أن يرق قلبك وتسأل عن كيف حالي وأختطف نظرةً لعينيك؛ التي تحتلهما القسوة كزوجةِ أبٍ تنظر لأبنة زوجها، وتقول لها اذهبي للعمل في المنزل لمدة طويلة، لم أشتاق إليكَ قط فقط أذكرك بما كنت تفعل قبل رحيلك، أنا هنا وأنتَ هناك والأيام بيننا سآخذ منكَ كل ما تملك من مشاعر، ولكن ليس إلي كل هذه المشاعر، بل سأقتلها أمام عينيك الجميلتين، وداعًا.

كُنت أتذكر كل هذه الكلمات التي كنت أقولها له دائمًا عندما كنا نتخاصم، أذهب للبحر وأكتب هذه الكلمات مرارًا مع أول مشكلةٍ بيننا، وكان يأتي لمصالحتي وهو يضحك، أين هو الآن؟ أضعته من بين يدي مجددًا ولم يعد يسجُ قلبي.

كنت ومازلت أحبك

باتَ الوصالُ صعبًا للغاية، الطريق شائِك ويجعل أقدامي تتمزق والدمُّ يسيل منها كالدموع الفارة من عيناي أثناء سَيْري عليه، أقسم أنني كُل يومٍ ألعن ما وصلتُ إليه، كيف وصلت لهذه المرحلة من الألم؟ كيف أصبح الطريق بهذا البُغْضُ! البؤس يَكْمُنُ هُنا، هُنا بأسفل قلبي، فعلى حافتهُ يوجد بَعضُ السعادة التي توْشِكُ على الانتهاء، الوصالُ أصبح كالشيء المُستحيل، فنسبتُه لا تَتَجاوز الواحدُ بالمائةِ، الخوضُ في شيءٍ جديد أصبحَ مُمِلًا حد الثَمالة، فوالله إن هذا الوقت سيقضي عليَّ في وقتٍ أقل، كُنت أظن أنني سألقاكَ عما قريب، كُنتُ على صواب، سألقاكَ حقًا في دار الآخرة.

أخبروه أني قَدْ مِتُّ من فرطِ البُكاء، وأني تالله لأقسم بجميع القسم أني اشتقت إليه، مِتُرٌ من المسافة، خَمْسُ دقائق من الزمن، وثانيتانِ فقط، وبضع خُطواتٍ بيني وبينه، يفصلنا سُورٌ عازل للرؤية، اسمع صوته ولكن لا أراه؛ يسمع صوتي ولكن لا يراني، ماذا دهاكم أيها البَشر، أتقفون وأنا أبكي؟ أليست دموعي أحق بالبقاء في عيناي!

"إن اللقاء كان عما قريب، انتظرت القريب ولم يأتِ فقررت أن أذهب إليه، وعند سيري في الطريق وجدته مزدحمًا بالمعضلات فعدت من حيث جئت، عُدت وأنا أحمل ما تبقى من قلبي على كفي، وتجرني قدماي لكي أصل، ولكن في المنتصف

المُميت، قد مُتُ فرارًا وهربًا بعد تيقني من أن لا جدوى من الحياة بدونه ولا نَفع بها بغيره، ولا حياةَ بها والحياة بذاتها–التي كانت تتمثل بكَ بعيدةٌ عني، أعلم علم اليقين أنكَ تحبني، وأعلم أنك ستبكي عندما تراني ضعيفةً هكذا ولا يوجد للفرح مكانٌ داخلي، أعلم أيضًا أنك لا تبكي إلا عزيزك الغالي وأنا هي عزيزة قلبك الغالية، ولكني لم أعد أحتمل، مَر الكثير وتبقى القليل، مَر الكثير وتبقى القليل، مَر الكثير وتبقى القليل، ولكن هذه المَرةُ مَر من خلالي وليسَ عليَّ، فإن كنتَ تحبني فادعُ لي، وإن كنت تريدني بخير فلا تجعلهم يعارضونني فيما سأفعله، تذكرني دائمًا وتذكر أنك كنت ومازلت صديقي الوحيد، ولكن أنا كُنتُ وزِلتُ وسأظل أحبك بشدة".

ياليت الليت يكون

يستوطن في عقلي، ويأبى الخروج من قلبي، أما لهذا القلب أن يأخذ هدنةً من العالم كُله، ومنه هو الأخر.

تالله يكفيني هذا القدر من الكِتمان، أما آنَ الآوان أن أصرخ وأقول لمرةٍ واحدة.

"يكفيني هذا القدر، لا أقدر على التحمل، لم أعد أتحمل"

كلهم يحملون نفس المعنى، ولكن أريد أن أقولهم في آنٍ واحد.

أستجير بِكم من لهيب جَهنم الموجودة في الشق الأيسر من الجسد، خصيصًا في القفص الصدري، تشُبُ النار بِه ويتصاعد الدخان كتصاعد الغاز في التفاعل الكيميائي.

راغمني عقلي بعدم النسيان، وكأنه يعاقبني لعدم الاختيار المثالي، ولأني لا أصيب الإختيار.

ينتشر به الرغام، من كثرة توقفه عن التفكير، أصبح مهجورًا من الدماء؛ التي تجعله يقوم بدوره الأساسي، ألا وهو التفكير، ولكنه رافضٌ للتفكير بغيره.

تتدجَّى الغرفة التي أسكنها ليل نهار، يصبح النهار كالليل، لا يفرقه عنه شيء بتاتًا، أجاهد نفسي على الاضطلاع من سريري الذي أصبح كموطنٍ ألجأ للاحتماءِ به.

فتاةٌ شاردةٌ في أفكارها، تقص على نفسها قصصًا من وحي الخيال، تأبى عيش الواقع المرير فتدخل نفسها في واقعٍ أمْرٍ، تضطلع على نفسها فالمرآةُ فتجد الهالات السوداء تنتشر أسفل عينيها، لا تعي ما تفعل ولا ما تقول، لاسيما أنها مريضةٌ بمرض الخيال، فيا أسفاه على تخيلها ويا أسفاه على ماضٍ لها يسوده الحزن، وحاضرٍ تبنيه فيشتعل، فياليتها تفيق من تخيلها وتعدل في حياتها بدلًا من هذا الجحيم اللعين التي تقحم نفسها به، فيا ليت الليت يكون.

سلب الجميل مني وغادر

في طليعة الأمر كُنت ونعم الصديقة والحبيبة، ولكن في نهاية الأمر أصبحت كالبيداء الخالية من كُل شيء.

لفحت النار الزهور التي كانت في قلبي، أصبح لظى النار يخرج من كُل مكان، ونضبت مياه الحب، حدث كُل هذا أثر خذلان من شخصٍ أبله مختال، يظن نفسه لا مثيل له، دخلت إلى عالمه برغبةٍ منه، ولكن علمت مؤخرًا أني كُنت أسير على سياج الورود، لا الورود قط.

كان مهذارًا معِي لا يكف عن التغزل بي، وبين ليلةٍ وضحاها لم يعد هنا، تركني ورحل هذا المعتوه.

اجتث مني كُل جميل، ورحل دون سابقِ إنذار.

جعلني أفقد الثقة في كُل شيء، أنا حقًا أكره ذاتي وأنبذها كُل ليلةٍ لأنني سمحت لنفسي بالدخول إلى عالمه.

السلام عليه ومِنهُ وإليه، أما بعد السلام فلا يوجد شيء لأقوله، ألقيت عليكَ السلام فكيف حال النكس؟ وأقصد به أنتَ.

أتمنى من صميم قلبي أن يأتيك الضني ولا تجدي الأطباء معك نفعًا، كما جلب لي السهاد ليلًا، جعلتني أسكن البيت الدجوجي ولا أجد مفرًا منه أبدًا.

كُنت مجرد شخصٍ عابر، عللكَ عبرت دون ترك أثر سيءٍ بي، حتى جعلتك المسود الذي لا يوجد مثله أحد، ألعنني على فعلتي السوداء.

سأمزق هذه الرسالة بعد الإنتهاء من تفريغ طاقتي بها؛ لأنك لن تهتم لأمري كالمعتاد، أريد فقط أن أقول لكَ:

إن كُنت تظن نفسكَ الجحجاح الذي لا يضاهيه شيء في الكون، وأنك في حين ابتعادك عني سأحزن؛ فأنتَ على حق لأنني حزنت كثيرًا، ولكن ليس لمفارقتك؛ بل لأني أقحمت نفسي في مكانٍ مخصصٍ للخنازير، ظننت أنني سأستطيع أن أنظفك من وحلكَ الدنيء، ولكني لم أستطع لأن كُل خنزيرٍ يظن ذاته نظيفًا، وما هو إلا حيوانٌ متسخ يتلاعب في الوحل ليستحم به، وأقصد بالحيوان أنتَ.

تريد أن ترى القسوة

تعامل معي لفترةٍ وجيزة ومن ثَم أهجرني وعد مرةً آخرى لتطالبني بالمُكوثِ بجانبك وأن نعود كما كنا.

حينها فقط ستجد آمانًا ليس آمِنًا، وقلبًا ليس لِينًا، ولسانًا ليس لطيفًا، ويدًا لا تكتب بلطفٍ، وأعينًا تنظر بكره، ستجد آمانًا تكره الآمان، وتحب الكُره والقسوة، ستجد قلبًا تبلد وأصبح كالحجارة لا ينبض إلا بالبُغض، لن تجدني كما أنا، ستتعجب ألف مرةٍ وتقول ما هذا بحق الجحيم!

أهذه آمانُ الكُل والآمانُ اللطيف الذي يهرول لها الأصدقاء ليقصوا ما يحدث لتهون عليهم؟

جَرب فقط أن تلعب معي وأن تقلب اللعبة عليَّ، ستجدني أُحَطِمُها فوق رأسك

ولا أبالي بحزنك؛ لأنك لا تستحق أن تشعر بالسعادة هنا، أقسم لكَ أنك ستعيش بجحيم أفكارك المتتالي، وستغرق في دموعك التي ستنهمر كالسيول المدوية، فقط لأنك لست تدرك حجم ما ستفعله ولا تحسبُ حسابَ غضبي.

أنا ألطف اللطفاء، وأقسى القساة، أنا أجيد لعب كل الأدوار لا يعيقني شيءٌ؛ لأنني لاعبةٌ ماهرة، أجيد حب هذه والسؤال على هذا، ترك رسالةٍ نصية قصيرة لتلك لتستيقظ مبتسمةً، ووضع صورةٍ لهذا وفوقها بضع الكلمات الرقيقة لأكون لطيفة.

وفي الجانب الآخر، أجيد جعل هذا يبكي ومن فرط البُكاء يفقد بصره، وأجيد جعل تلك تكره ذاتها وتسبها وتلعنها كُل ليلةٍ، وذاك يبيتُ الليل باحثًا عن ترجمةٍ لكلامي القاسي وطريقتي المتعجرفة، فأنا الشيء وعكسه أجيد فعل كل شيء؛ ولكن بناءً على من أتعامل معه أمامي، لا أقسُو على اللين ولا ألين على القاسي، جرب فقط أن تفهمني وستعيش بسلامٍ بعيدًا عني.

أنا هي القاسية ذات القلب المتحجر الباكية لكسر قلب أحدهم دون قصدٍ المتعجرفة التي تبُخ السُم في جسدك ومن ثَم تعطيك الترياق خائفةً من زوالك، الآمان لكَ والمنزل الضامُ، توقف قليلًا عن القراءة وركز معي.

أنا آمان الكُل ومأمن ذاتك، أنا من ينفر منها الجميع ومن ثَم يجدون أنفسهم بين أحضاني.

دعوة مظلومة.

عَلك تسأل عن سبب عدم عفوي عنكَ؟

دعني أجيبك في بعض الأسطر وألخص لكَ كُل ما أحمله في قلبي لكَ، معاذ الله أن أخالف أوامره ولا أعفو عنكَ عند استطاعتي، أعلم في ديني جيدًا ولا أنتظرك لتخبرني أن من عفى عند مقدرته نال أجرًا عظيم، ولكن ياصديقي أيضًا من لم يعفو فليس عليه إثم.

تماديت في كسري وتمزيق قلبي؛ إثرَ كبريائك وعدم تقبل الإعتزار مني، أصبحت متعبة القلب ومنهكة الفِكر من الحزن الذي تسببت فيه أيها الحِمار ذو النعلين.

أنا أتناسى ولكن لا أنسى، وأنتَ ظننت أنني نسيت كُل ما فعلته بي وارتكبت الأخطاء الجديدة، وأنا جعلت نفسي لا أرى وأتظاهر بالنسيان ولكن كُل هذا كان بأمرٍ مني لنفسي أن أتناسى ما تفعله، استغللت نقطة ضعفي ومزقت فؤادي بكلامك الذي كان كالسُم الذي لا يوجد له ترياقٌ على مر العصور والأزمان، تماديت وتماديت حتى لم يعد للصبر مكان عندي.

ماذا تظن نفسك يا هذا لتجرؤ على تخطي الحد الذي وضعته لكَ؟ ماذا تظن نفسك فاعلًا بي؟ أتظن أن حياتي تتسخر لكَ لتخربها وتهرول من أمامي؟ لا، لقد أخطأت في اختيار الشخص الذي تخرب له حياته، فأنا الشوكة التي ستقف في حلقك ولن تستطيع التعافي منها، وأرني كيف لكَ إخراج ألمها من حلقك أيها

الشيطان ذو القرنين أعلى رأسك، ولو أني على يقين أنكَ بلا رأس أو وضعوا لكَ رأس حمار، لا يوجد بها عقلٌ يفكر ماذا يفعل بحياة البشر وهو مارٌ عليها، وأنه ليترك أثرٌ سيء بها قبل رحيلة.

أنا مُسالمةٌ ولا اتسبب بالخراب مثلكَ، كنتَ وبئس الصديق، ولكن تالله سأقتص منكَ بدعائي فقط، ويال سوء حظك عندما يدعو عليكَ مظلوم، انتظر وانتظر ومن ثَم انتظر لحين الوقت المناسب؛ ستجدني أقف بعيدًا وأنا أضحك، وستجد نفسك تبكي، لا تتعجل فأنا السياج الموجود بالورود التي تسير عليها لتمزقها، أرني كيف ستتخطاني بعدما ألمتني.

وعود زائفة

ينقطع النور المنبعث داخل قلبي مرةً واحدة، ليحل الظلام به مجددًا، كان هو أخر بصيصٍ من الأمل لدي، ولكنه انقطع كما ينقطع كُل شيء. الفراغ ساد بداخلي من جديد، فراغ، فراغ، فراغ، لا يوجد غيره، لا لا يوجد القليل من الحزن، ممزوجًا بالذكريات التي ألعنها في كل يوم أكثر من ذي قبل، مضافًا إليهم بعض البُكاء.

لم أعد أكترث للأمر حقًا، فهذا هو الروتين اليومي فعليّ الاعتياد، يتكرر كُل شيء بكثرة، يبدأ بفرحٍ شديد، وينتهي بفراغ يسود أنحاء القلب.

هذا يقول لي أنه سيبقى، وسيدوم ولن يرحل، وأنا أعلم جيدًا أننا كلنا فترات، وأننا كلنا زائلون، ولكني أحاول التشبث بأي شيء يجعلني سعيدة، كُنت حقًا سعيدة بوجوده وبوعوده، ولكن كما اعتقدت وظننت، هي وعود زائفة، ليس لها من الأصل شيء.

كان يعدني كثيرًا أنه سيجعلني سعيدة، لن يترك للحزن مكان في قلبي، وأنا بسذاجتي سمحت له بالإقتراب، ولكنه انتظر اللحظة المناسبة وطعنني في ظهري، ورحل حتى دون أن يقول أسباب لرحيله، رحل واختفى أخر شعاع للنور في قلبي، وعم الفراغ مجددًا.

وتلك كانت أيضًا تقول لي أني جميلة، وأنها تحبني وأنها لا تقدر على العيش بدوني، وكانت تقول من كُل الكلام أجمله، تصفني بالجميلة، كلماتها كانت تمس قلبي من لطفها، وها هنا أنا الآن، كلماتها تطعن خنجرًا في قلبي من كذبها، لن أحب أحدًا بعد الآن، سأرجع كما كنت، لا أعرف أحد ولا أحد يعرفني، ولكن هنا المختلف أن الحزن بداخلي سأسرده في نصوصي وأحتفظ بها لذاتي؛ أملًا في أن أتعافى من جديد، في أن أرجع على ما يرام وكما كنت بعيدةً عن الجميع،

لم أكن أريد أن أتعرف على كُل هؤلاء الناس ولا أن يدخل حياتي الكَم الهائل من هذه البشر، سمحت لنفسي فقط لكي أجد بينهم رفيقًا يرافقني وقت حزني، ونفس الرفيق يكون معي وقت فرحي، أشاركه كل شيء دون ملل، ولكني فشلت كالمعتاد وهذا ليس بجديد.

كما قلت لكم ساد الفراغ بداخلي ممزوجًا بالحزن مرافقًا للبكاء، فيا حبذا عندما يجتمعون معًا، لن تروني مجددًا إلا عند التعافي من كل هذا، ولكن عند عودتي سترون فتاةً أخرى، لن تكون هي أنا ولا أنا هي، سيكون هناك شتان ما بيني القديمة و الجديدة، سأتغير للأفضل بالنسبة لي وللأسوء بالنسبة لكم.

فأنا رفيقة نفسي في البُكاء ورفيقة نفسي في السعادة ورفيقة نفسي في كُل شيء، حتى وإن وجدتم في بعض الأحيان أشكركم على تضييع بعض الوقت من وقتكم الثمين لأجلي، فأنا وحيدة نفسي.

***

وفي النهاية؛ كان يتوجب عليكَ عدم الاشتياق عدم البدأ في الحديث والتفريط في كل ما تملك؛ ألا وهي كرامتك من أجل شخصٍ لا يستحق منك التضحية، قف مكانك عالج أمور قلبك واضبط مجرى الدم لديك ليضخَ فقط للقلب وليس للشخص، استردَ كرامتك ولا تتهاون مرةً أخرى فيها لأنك لا تملك غيرها، انظر حولك وأمعن النظر ستجد أنك لست أولويًا في هذا المكان؛ فارحل عنه بهدوءٍ يتخطى هدوء الجو في ليلةٍ شتويةٍ بعد توقف نزول المطر، لا تحزن ولا تجزع ولا تبكِ ولا تفرح أيضًا فقط وازن بين كافةِ أمورك وضع الأمر يسير بمجراه الطبيعي لا أكثر ولا أقل، وفي مرةٍ واحدة دون سابق انذار؛ ضع حجرًا على قلبك وابتعد ولا تلتفت للخلف، اعلم عزيزي أنك ستكون حزينًا جدًا ولكن بعد فترة سيزول الحزن وسترجع كما كنت وستعيد الكَرةَ مرةً أخرى فاحفظ هذه الخطوات.

نبذة عن المؤلِّفة

ايمان بلمداني

الدولة:

الجزائر

– سنة ثانية ليسانس علم النفس.

اعمال سابقة :

– كتاب نرجسية الهوى.

– مشاركة في كتب جامعة لاريمار ، شرايين حروف ، فيلودوكسيا ، أنطولوجيا الشباب المبدع في اول نوع له في الجزائر مدونة في مجلات الكترونية وورقية.